تاريخ شعراء العربية

أبو نواس

شعراء العصر العباسي الأول



إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَب - خَلفَ الفندُق السيَّاحِي

شارع هدى الشعراوي

هاتف ٢١٣١٢٩ | ص.ب ٧٨ | فاكس ٠٢١،٢١٢٣٦١

نبذة عنه

هو الحسَنُ بنُ هانئٍ ، كان أبوه مِنْ جند الشام الذين كانتْ خدمتهُم العسكريّةُ في خوزستان ، وهناك تزوَّجَ امرأةً اسْمُها جلْنارُ أيْ زهرُ الرّمّان ورُزقَ منها الحسنَ ، ولم يُعْرَفُ عن هانئ متى تُوفّيَ ، ولكنّ الكتب تشير إلى أنّ الحسن قد نشأ في البصرة ، وصار يتردّدُ - على شاكلة الناشئة آنئذ - إلى حلقات العلم في المساجد ، حتى حفظ القرآن الكريم غيباً .

لكنّ أمُّه أسلمتْه إلى عطّارٍ وكيمائي يكتسبَ بعضَ المال ينفقُهُ عليها بعدما ترمّلتْ ، ويبدو أنّ ذلك العطّار لم يكن صالحاً ، إذ تَعرّفَ الحسنُ عنده على رجل فاسقٍ مشهور بالدّعارة والمجون والإباحية ، هو والبة بن الحباب ، فأفسدَ الحسنَ بن هانئ ، ووصلَه بعصابة من المجان العابثين من أمثال مطيع بن إياس وحمّاد عجرد وداود بن رزين والواسطي والفضل الرقاشي وإسماعيل القراطيسي ، هنالك انغمس الفتى الناشئ الذي كان يفتقدُ مَنْ يوجّهه في لُجّة الغواية والفتنة والانحراف ، وصار مضرب المثل في شيئين ، الخمرة ، والشذوذ الجنسي ، إذْ ذاعتْ فيهما شهرتُه ، ونُسبتْ إليه فيهما أشعار كثيرة ، هذا ما تناقلتْه الأوساط الأدبيّة ، ولكنْ في كتاب أبي نواس لابن منظور تبرؤ لأبي نواس مما اتُّهم به ، وأنّه لم يفكّ زُنّاره قطُّ على حرام .

وخلاصةُ القول أن لهذا الشاعر سُمْعةً تنطوي على شعبتين مستهجنتين هما معاقرة الخمر والشذوذ ، ويُرْوَى أنّ تلك السمعة ذاعتْ عنه حتّى رويَ الحصريُّ أنهُ لّما خَلَعَ المأمون أخاه الأمين ، ووجَّه بطاهر بن الحسين لمحاربته كان يعمل كتباً بعيوب أخيه تُقرأ على المنابر بخراسان ، فكان ممّا عابه به أن

قال : إنّه استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هانئ استخلصه ليشرب معه الخمر ، ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم .

ومع أنّ هذه الرواية عن علاقة الأمين بأبي نواس غير صحيحة ، لأنّ من الثابت أنّ الأمين قد حبس أبا نواس لمجونه ، كما كان قد حبسَه من قبل هارونُ الرشيد ، والد الأمين ، مع ذلك كانت لأبي نواس شهرةٌ ذائعة في المجون والإباحية ، وحسْبُهُ أنّ الذين صنعوا الرواية الشعبية المغلوطة ((رواية ألف ليلة وليلة)) قد جعلوه بطلاً فيها ، وأمعنوا في الاختلاق ، فأشركوا معه الرشيد لكنّ كلّ المؤرّخين يَعرِفون إسراف هذه الرواية ، رواية ألف ليلة وليلة ، وأنّه ما أريدَ من تأليفها أيُّ خير فهي **أوّلاً** شغَلت الناس عن محاربة الصليبيين ، لأنّها كانت موضوع سَهرات الناس في المقاهي ، مع القصّاصين ، ورواة الحكايات وبدلاً من أن يذهب هؤلاء لمحاربة الغزاة الأوربين كانوا يَقْضون الساعات الطويلة في استماع الحكايات المختلفة كألف ليلة وليلة ، وحمزة البهلوان وعنترة ..

وهي **ثانياً** لم تعلّم الناس شيئاً مفيداً ، بل حرّفت تاريخ العرب والإسلام ، حتى صار مَنْ لايعرف التاريخ من العامّة يحسَبُ الرشيد رجلَ عبثٍ ، بحسبِ ما تصوّر تلك الرواية المحرّفة ، مع أن الرشيد كان يحجّ سنةً ويغزو سنة ، ويصلّي في كل يوم وليلة مئة ركعة .

شعوبيّته

يذكر النواسيُّ أنّه ينحدر من أهل اليمن ، أيْ من قبيلة حكم اليمنيّة :

وقـال : أمِنْ تيمٍ ؟ قلتُ كلاّ   ولكنّي من الحيِّ اليماني

وكان في البداية يُكنى أبا فراس ، فعدَل عن ذلك ، واكتنى بأبي نواس : تشبهًا بكنية ذي نواس اليمنيّ ، ولكنّ أمّه فارسية .

والحقّ أنّ أصل الإنسان أو عِرْقه ليس هو الذي يدفعه دائماً إلى أن يتبنّى بعضَ المعتقدات والآراء الفكرية ، إذ نجد فارسيّين من طريق أبويهم كلَيْهما ما ندَّتْ منهم ميول شعوبية ، ولكنّ أبا نواس لمّا فسَقَ صارَ يحملُ – في فترة من حياته – على أهل الاستقامة ، وعلى العرب ، حتى على منهج القصيدة العربية ، التي تبتدئ بالوقوف على الأطلال :

عـاجَ الشقيُّ على رسمٍ يسائِلُهُ   وبتُّ أسألُ عن خمّارةِ البلَدِ
يَبكي على طَلَلِ الماضينَ من أسدٍ   لا درَّ درُّكُ قل لي مَنْ بنو أسَدِ
ومَنْ تميمٌ ومَنْ قيسٌ ولفُّها   ليس الأعاريبُ عند اللهِ مِنْ أَحَدِ

هذه الأشعار النافرة عن أعراف الشعر العربي ، ومن حياة المحافظة كلّها ، كانت مصحوبة بردّة سافرة ، ونهَمٍ طاغٍ بأمّ الخبائث :

ألا فَاسقِني خمْراً وقلْ لي هي الخمرُ   ولا تَسقِني سِرّاً إذا أمكنَ الجَهْرُ
فعيشُ الفتى في سكرة بعد سكرةٍ   فإنْ فاتَ هذا عنده قصُرَ العُمْرُ
وما الغُبْنُ إلاّ أن تَرانيَ صاحياً   ولا الغُنْمُ إلاّ أن يُتَعتِعَني السُّكْرُ
ولا خيرَ في فَتْكٍ بغير مَجانةً   ولا في مجونٍ ليس يتبعُه كُفْرُ

وهذه الأبيات من أردأ ما هَبَطَ إليه الشعر العربي في كلّ عصورِه .

معرفته الأدبية

كان لهـذا الشاعرِ اطلاع على آراء الفلاسفة والمتكلّمين في عصره ، وكان عالماً باللغة ، يروي الشعر ، حتى ذكر عن نفسِه أنه يروي لستّين امرأة من العرب غير الخنساء ، عدا الرجال ، وأنه يروي مئة أرجوزة لاتُعْرَف .

وقد أخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدةَ معمر بن المثنّى وخلف الأحمر :

وكان يَزْوَرُّ (١) عن التصنعُّ في أشعاره ، وعن التكلُّف ، ويأتي بشعره على سجيّته .

ولهذا الشاعر قصائد رسميّة رصينة ، وأشعار خفيفة وموضوع القصائد الأولى الزهد والتوبة والحكمة ، وموضوع الأخرى الغزل والمجون ، وقصائد النوع الثاني هي الأكثر .

مجلس لهو

لاتلمْني الآنَ ، فلومُك لايزيدني بالخَمْرةِ إلاَّ هُياما ، وصحيح أنها داءٌ ويل وشر مستطير لكنها -في نظره غير المُصيبِ- هي الداء وهي الدَّواء ، ولقد قامتْ ساقيةٌ مشرقةُ الوجه تدورُ عليهم بالشَّراب ، والوقتُ وقتُ ليلٍ ، وهو شراب صاف يجعل شاربه يحسّ بدوارٍ كالإغفاء ولعماية أبي نواس أوغيبوبته

(١) يزورّ : ينحرف ، ويعرض .

وسكْره يظنّ خمرته أشدّ صفاءً من الماء ، وكأنها نور مضيء ، ودارت السّاقية على مجموعة من الشُّبان الذين أُوتوا حظّاً ، ولم تتنغّصْ أيامُهم ، ويذكر النواسيّ أنه لايبكي على آثار الديار – كغيره من الشعراء– وإنما على مجالس الخمرة فقط وإذا كان العلماء يخوّفونه النار إذا لم يتب عن فسقه ، فهو يناظرهم بمسألة عفو الله تعالى ، ويتّهم علومهم بالنقص ! وهو يشير بذلك إلى إبراهيم بن سَيَّار النَّظّام الذي كان يعظُه أنْ يترك المعاصي :

دعْ عنكَ لومي ، فإن اللوم إغراءُ   وداوني بالتي كانتْ هيَّ الداءُ
صفراءُ لاتنزلُ الأحزانُ ساحتَها   لو مسَّها حجرٌ مسّتْهُ سرّاءُ
قامتْ بإبريقها والليلُ مُعْتَكِرٌ   فلاحَ من وجهها في البيت لألاءُ
فأرسلتْ منْ فمِ الإبريقِ صافيةً   كأنَّما أخْذُها بالعَيْنِ إغفاءُ
رقّتْ عن الماء حتى مايلائمها   لطافةً وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزجْتَ بها نوراً لمازجَها   حتى تولَّدَ أنوارٌ وأضواءُ
دارتْ على فتيةٍ دانَ الزمانُ لهم   فما يصيبُهمُ إلا بما شاؤوا
لتلك أبكي ولا أبكي لمنزلةٍ   كانت تحلّ بها هندٌ وأسماءُ
حاشا لدُرَّةَ أنْ تُبْنى الخيامُ لها   وأنْ تروح عليها الإبْلُ والشَّاء
فقُلْ لِمَنْ يَدَّعي في العلم فلسفةً   حفظْتَ شيئاً وغابتْ عنكَ أشياءُ
لاتحظُرِ العفوَ إن كنتَ امرأً حَرِجاً   فإنَّ حَظْرَكَهُ في الدِّين إزراءُ

ثورة على نهج القصيدة

يرى النواسي أنّ الوقوف بالأطلال خطلٌ يجب العدول عنه إلى مجالس الخَمْرة ، حيث تدور بكؤوسها سَقَّاءة فاتنة تقدّم نوعين من السُّكْر ، من عينها ، ومن الكؤوس :

لاتَبْـكِ لـيـلـى ولاتــطـربْ إلى هـنـدِ
واشربْ على الوردِ من حمراءَ كالوَرْدِ
كأساً إذا انحدرت في حلْقِ شاربِـهـا
أجـــدتْهُ حــمـــرتَـها في العينِ والخدّ
فالخمرُ ياقوتةٌ والكـأسُ لـــؤلـؤةٌ
في كفّ جارية مـمـشـــوقـة الـقَـدّ
تسقيكَ من عينها خمراً ومن يــدها
خمراً ، فما لكَ من ســـكريـنِ مِن بُدّ
لي نَـشوتَـانِ وللــنُـدمــان واحدةٌ
شيءٌ خُصِصتُ به مِنْ بـيـنـهم وحدي

الاسْتصباح بأمّ الخبائث

أطغى الشيطانُ أبا نواس ، فلم يعدْ يتصيّد الأوقات الثمينة لما ينفعُـه ، إنّ وقتَ السَّحرَ الذي يتجلّى فيه ربّ العالمين على عباده ، ليقبل دعاءَهم ، ويحقّق لهم مبتغاهم .. لم يُفدْ منه هذا الشاعر ليرفع استغفاراً ، أو يسجّل توبة ، وإنما ليزداد إثماً على إثم :

نكرَ الصَّبُوحَ بسُحْرةٍ فارتــاحا　　وأمـلّه ديـكُ الصّباحِ صياحا (١)
أوفى على شرف الجدار بسدفة　　غرداً يـصفّقُ بالجناح جناحا (٢)

---

(١) الصَّبوح : شراب الصبح .

(٢) سدفة : ظلمة .

بادرْ صَباحَكَ بالصَّبوحِ ولا تكنْ كمُسَوِّفِينَ غَدَوْا عليكَ شِحاحاً (١)

هل كان الناس راضين عن مَسْلكه

ما كان لأبي نواس وعصابته من المُجَّان أنْ يَحْظَوْا برضى المجتمع العباسي ، ويدلّنا على هذا عدّة ظواهر .

أنّه لم يكن يستطع أن يمارس انحرافه في وضحَ النهار ، ولا أمامَ أعيُنِ الناس ، فكان يذهب أحياناً إلى دير من الأديرة النصرانية ، فيقول :

يا دَيْرَ حَنَّةَ من ذاتِ الأُكَيْراحِ
مَنْ يَصْحُ عنكَ فإني لستُ بالصّاحي (٢)

وأحياناً كان يذهب إلى خمّار يهودي غدّار ، فيقدّم لهم الخمرة ، فإذا هم يسجدون لها من دون الله ، ويُقيمون شهراً على وثنها :

وفتيانِ صِدْقٍ قد صرفتُ مطيَّهمْ
إلى بيتِ خَمَّار نزلنا به ظُهْرا (٣)
فلمّا حكى الزُّنَّارُ أنْ ليس مسلماً
ظننَّا به خيراً فظَنَّ بنا شَرّاً (٤)
فقلنا على دين المسيح بن مَرْيمٍ ؟
فأعرض مزوراً وقال لنا هُجْرا (٥)

---

(١) مسوّف : مؤجّل . شحاح : بخلاء .

(٢) دير حنّة : اسم دير وذات الأكيراح : موضع .

(٣) المطيّ:الرّحال. نزلوا ظهراً:استغرق ذهابهم إليه من الصبح إلى الظهر لِبعده عن بغداد

(٤) الزنار : كان النّصارى واليهود يتّخذون الزنانير في ملابسِهم .

(٥) مزوّر : ملتفت : غير مُقبْل .

ولكنْ يهوديٌّ يحبّك ظاهراً
ويُضمرُ في المكنون منْهُ لكَ الغَدْرا
فجاءَ بها زيتية ذهبيّة
فلم نستطعْ دون السجودِ لها صَبْرَا
خرجْنا على أنّ المقامَ ثلاثةٌ
فطابتْ لنا حتى أقمنا بها شَهْرا
عصابةُ سوءٍ لاترى الدهر مثلَهم
وإنْ كنتُ منهم لابريئاً ولا صِفْرا
إذا ما دنا وقتُ الصَّلاةِ رأيتَهم
يحثّونها حتى تفوتَهُمُ سُكْراً

اضطرارهم أن يُبْعدوا المَشْرب

إضافة إلى أنّهم كانوا يشربون في السرّ من خمّار يهودي أو نصراني ، وأحياناً من خمّار مجوسيّ ، كانوا يتجشمون سيراً طويلاً وعناء إلى أن يصلُوا إلى محلّ الخمّارة أو الدَّيْر ، فيطرقون الباب ، فيسألهم الخّمار خائفاً : مَنْ أنتم ، لأنه يحذرُ أن يكونوا شرطة أو من جماعة الفتوّة التي كانت تأمر - تطوّعاً منها - بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، بالأيدي ، أو بالألسنة ، فإذا ما أعطاه أبو نواس إشارة خاصّة ذات رمز فتحَ له ... ليسكر هو وعصابتُه :

دع الرَّبْعَ ما للربع فيكَ نَصِيبُ   وما إنْ سبتني زينب وكَعُوبُ (١)
ولكنْ سبتْني البابليّة ، إنَّها   لمثليَ في طول الزمانِ سَلُوبُ (٢)

(١) لايحب الوقوف على الأطلال ، وتذكر المحبوبات . سبتني : أسرتني .

(٢) البابليّة : الخمرة .

جفا الماء عنها في المزاج لأنّها ... خيالٌ لها بين العظيم دبيبُ (١)
إذا ذاقَها مَنْ ذاقَها حلّقتْ به ... فليسَ لَهُ عقلٌ - بُعَدَ - أديب (٢)
وليلةِ دَجْن قد سريْتُ بفتيةٍ ... تنازعُها نحو المدام قُلوبُ (٣)
إلى بيت خَمّار ودونَ محلّه ... قصورٌ مُنيفاتٌ لنا ودروبُ
ففزّعَ من إدلاجنا بعد هجعةٍ ... وليس سوى ذي الكبرياء رقيبُ
تناوَمَ خوفاً أن تكون سعاية ... وعاوده بعد الرقادِ وجيبُ
ولمّا دعونا باسمه طارَ ذُعْرُهُ ... وأيقن أنّ الرحلَ منه خصيبُ
وبادرَ نحوَ البابِ سَعْياً ملبّياً ... له طربٌ بالزائرين عجيبُ
فأطلقَ عَنْ نابَيْه وانكبَّ ساجداً ... لنا وهو فيما قد يظنّ مصيبُ
وقال ادخُلوا حُيِيّتمُ مِنْ عصابةٍ ... فمنزلُكم سَهْلٌ لديَّ رَحِيبُ (٤)
وجاء بمصباحٍ لَه فأنارَهُ ... وكلُّ الذي يبغي لديه قريبُ
فقلنا أرحْنا هاتِ إن كنتَ بائعاً ... فإنّ الدجى عن ملكه سيَغيبُ (٥)
فأبدى لنا صهباءَ تمَّ شبابُها ... لها مَرحٌ في كأسِها ووثوبُ (٦)
فما زال يسقينا بكأسٍ مجدّة ... تُولّي وأخرى بعد ذاك تؤوبُ

---

(١) يتحدّثُ عن رقّة الخمرة ، فإذا مُزِجتْ مع الماء كانت - بزعمه - أكثر صفاء .

(٢) أديب : صفة لكلمة عقل . أي إذا شربها ذهب عقله وسَكِرَ .

(٣) دجْن : غيم .

(٤) رحيب : واسع .

(٥) الدجى : الليل .

(٦) صهباء : خمرة حمراء .

بين الآكام والركّام

كان أبو نواس وعصابته يَتعاطَوْنَ الخمرة - كما رأينا - في الديارات وكنس اليهود ، ولدى بعض المجوس ، أو بين المقابر والآكام والرُّكام ، ولو عُدْتَ إلى سينيّته التي يعدُّها الجاحظُ أحسن خمريّاتِه لرأيناه يحتسي فيها الخمرة هو وعصابته في خرائب بلدة ساباط الأثرية القديمة وهي من ضواحي بغداد :

وَدارِ ندامى عطّلوها وأدلجُوا بها أثَرٌ منهم جديد ودارسُ (١)
مساحبُ مِنْ جَرِّ الزقاقِ على الثرى وأضغاثُ ريحانٍ جَنِيٍّ ويابس (٢)
ولم أدرِ مَنْ هم ؟ غيرَ ماشهدتْ به بشَرْقيِّ ساباطَ الديارُ البسابِسُ (٣)
أقَمْنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ الترحلِ خامِسُ
تُدارُ علينا الرّاحُ في عسجديّةٍ حَبَتْها بألوان التصاويرِ فارسُ (٤)
قرارتُها كسرى وفي جنَباتِها مَهاً تدّريها بالقِسِيِّ الفوارسُ (٥)
فللخَمْرِ ما زُرَّتْ عليه جيوبُها وللماءِ مادارتْ عليه القَلانِسُ (٦)

---

(١) عطّلوها : تركوها . أدلجوا : ساروا ليلاً .

(٢) مساحب : أماكن سحب الجرار . الزِّقاق : جمع زق ، وهو إناء الخمرة .

(٣) ساباط : مدينة أثرية خَربة قرب بغداد .

(٤) حبا : أعطى . عسجدية : زجاجة مذهّبة .

(٥) قد رسم في أسفلها صورة كسرى ، وعلى جوانبها صورة بقرة وحشية تصطادها الفرسان بالقسيّ .

(٦) صبّوا فيها خمراً إلى أن وصل مستوى الخمرة إلى أماكن عقد القمصان من هؤلاء الفرسان ، أي إلى قرابة ثلاثة أرباع الكأس ، ثم زادها ماء إلى ما يوازي أعلى قلانسهم .

ولكنْ إلى متى ؟

إنه يرى أفواج الراحلين إلى عالم الآخرة بأمّ عينيه ، من بين أقاربه وجيرانه وأصحابه ، وغيرهم ، وارتحالهم متوالٍ متعاقبٌ ليلَ نهارَ ، كانوا يتسلسلون في دَوْرهم وهم ينتظرون أيّام الرحيل ، إلى أن وافتْهم ، فماذا أعدّ لذلك المصير ؟

حسبُه أنّ الله عزَّ وجلّ عفوٌ غفور ، وأنّه هو مهما كان قد فرط منه .. مسلم :

يـاربِّ إنْ عظمتْ ذنوبي كثرةً ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ

إنْ كان لايرجوكَ إلا مسلمٌ ... فبِمَنْ يلوذُ ويستجيرُ المجرم

أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تَضرُّعاً ... فإذا رددْتَ يدي فمَنْ ذا يرْحَمُ

مالي إليكَ وسيلةٌ إلا الرَّجا ... وجميلُ عفوكَ ثم أنّي مسلم

القبور الواعظة

ويُرْسل الطَّرفَ في جنَباتِ القبُور ، وماذا تضمّ بين جوانحها ، إنها صامتة ، وإنّنا لانحسّ بمَ يجري لمَنْ فيها ، مع أنّه ما من قبر إلا هو حُفْرة من حُفَرِ النار ، أو روضةٌ من رياض الجنّة ، كانوا مثلَنا ، أو خيراً منّا ، أو أكثر مالاً ، أو أشدّ قوّة .. وإنهم السابقون ، ونحن بهم لاحقون .

وعظَتْكَ أجداثٌ خُفُتْ ... فيهن أجساد سُبُتْ (١)

---

(١) أجداث : قبور : خفت : صامتة . سبت : متفتّتة بالية .

وتــكـلّمـتْ لكَ بـالبِلَى　　منهنّ ألسنةٌ صُمُتْ
وأرتْكَ قبرَكَ في القبورِ　　وأنــتَ حيٌّ لم تمتْ

تأثير السّنّ

إنْ كان راجحو العقول لايضلّون ولو كانوا في مُقْتَبَل أعمارهم فلمْ يعدمْ أبو نواس أنْ ينضج عقلُه بعدما تقدّمتْ به السّنون ، وحـنكتْه تجـاربُ الأيّـام ، وصار يتلفّتُ ما حوله فإذا قطارُ العمر قد سبقه ، فيُلملمُ نفسَه ، ويغـذّ الخُطا ، لعلّه أن يتدارك ما فـات ، وممـا أعانـه علـى إدراك بعـض غايتـه اتّسـاؤه ببعـض الشخصيات الرسمية التي كـانت في عصـره ، كـالفضل بـن الربيـع ، والرشـيد ، والأمين .. مع أنّ هؤلاء الثلاثـة أسـهموا في رَدْعـه بـالقُوَّة عـن غَيّـه ، وحبسـوه مرّتين كما تقدّم :

وعـظـتْكَ واعظةُ الـقـتيـرِ　　ونَـهتْـكَ أُبَّـهـةُ الكبـيـرِ (١)
وردتَ مـا كنت اسـتعـرْ　　تَ من الشباب إلى الـمُعِيرِ
فالآنَ صـرتَ إلى النهـى　　وبلوتَ عاقبةَ الســرور (٢)
يا فَضْلُ جـاوزْتَ الـمـدى　　فجَلَلْتَ عن شَـبَـهِ النّظيرِ
فإذا العقولُ تفاطنتكَ عرضْنَ　　في كـرمٍ وخـيـر (٣)

فهو إذا تذكّر الفضل بن الربيـع هربـت مـن فكـره وسـاوس الشـيطان ، وحلّ محلّها كل معنى جليل كريم .

---

(١) القتير : الشيب . الأبهّة : النخوة والعظمة . الكبير : العمر المتقدّم .

(٢) النهى : جمع نهية ، وهي العقل . بلوت : اختبْرت .　(٣) الخِير:الكرم والشرف .

إنّ من الناس مَنْ إذا رأيتَه ذكّرَتكَ رؤيتُه بطاعة الله ، والنواسيُّ إذ يمدح أمير المؤمنين الأمين يتوب من الآثام :

ولقد نَهزْتُ مع الغواةِ بدلوِهمْ — وأسمتُ سَرْحَ اللَّهْو حيثُ أساموا
وبلغـتُ ما بلغَ امرؤٌ بشبابِه — فإذا عُصارةُ كلِّ ذاك أثامُ

تديُّن وظَرْف

أفادَ أبو نواس من نصائح ذوي الخير ، كالفضل بن الربيع ، الوزير ، فصار يشهد الصلوات جماعةً ، ويتوقّر حتى يشبه أعلام الزُّهدُ ، ويستصحب السُّبحة ، ويصلّي مطيلاً من السجود ، حتى ارتسم أثر السجود على جبهته :

أنتَ يا بنَ الربيع ألزمتَني — النُّسْكَ وعوّدتَنيه والخيرُ عاده (١)
فارعوى باطلي وأقصر حبلي — وتبدَّلْتُ عِفَّةً وزَهاده (٢)
لو تراني أنكرتَ بالحسن — البصريَّ في حُسْنِ سَمْتِهِ أو قتاده (٣)
المسابيحُ في ذراعيَّ والمُصْحَفُ — في لبَّتي مكان القلاده (٤)
فادعُ بي -لاعدمتَ تقويمَ مثلي- — وتفطَّنْ لموعد السجّاده
ترَ إثراً من الصلاة بوجهي — توقِنُ النفسُ أنها من عباده
ولقد طالما شقيتُ ولكنْ — أدركتْني على يديكَ السَعاده

---

(١) النسك : التعبّد .

(٢) ارعوى : كفّ وارتدع . أقصر حبلي : كناية عن توبته عن المعاصي .

(٣) الحسن البصري ، وقتادة من كبار التابعين .

(٤) لَبّتي : صدري .

نـــــــدم

ألم ترني أبحتُ اللهو نفسي   ودِيني واعتكفتُ على المعاصي
كـأنّي لا أعــود إلـى معادٍ   ولا أخشى هـنـالكَ من قِصَاصِ

* * *

أيا مَنْ بين بـاطـيـه وزِقٍّ   وعـودٍ في يـديْ غانٍ مغنّي
إذا لم تَنْهَ نفسكَ عن هـواها   وتُحْسِنْ صونَها فـإليـكَ عنّي
فإنّي قد شبعتُ من المعاصي   ومن إدمانها وشـبـعْـن منّي
ومَنْ أسوا وأقبحُ من لبـيـبٍ   يُرى مُتطرِّباً في مثلِ سِـنّي؟

* * *

خــلّ جـنـبـيـك لـرامِ   وامـضِ عـنـه بـسـلامِ
إنّـمـا الـسّـالـم مَـنْ   ألـجـمَ فـاهُ بـلـجـامِ
فالبس الناس على الصحّـة   مـنـهم والـسّـقـام
شِـبْـتَ يا هذا وما تـتـرك   أخـلاقَ الـغـلامِ
والـمـنـايـا آكـلاتٌ   شـاربـاتٌ لـلأنـامِ

رثاء مَنْ قَبْلَنا

أيــا رُبَّ وجهٍ في التـرابِ عتيقِ   ويا رُبَّ حُسْنٍ في الترابِ رقيقِ
ويـا رُبَّ حزمٍ في التّرابِ ونَجْدةٍ   ويا ربَّ رأيٍ في الـتراب وثيقِ
أرى كل حيٍّ هالكاً وابن هـالكٍ   وذا حسَبٍ في الهالكـين عريقِ
فقُلْ لمـقيم الدارِ إنّك ظـاعــنٌ   إلى منـزلٍ نائي المحـلّ سحيقِ
إذا امتـحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّـفتْ   له عن عدوٍّ في ثيـابِ صديقِ

وقال يرثي نفسه

دبَّ فيَّ الـفـنـاءُ سُفْلاً وعُلْوَا   وأراني أموتُ عُضْواً فعُضْوا
قد أسأْنا كلَّ الإسـاءةِ فـاللهمّ   صـفـحاً عنا وغفْراً وعفْواً

وكان موته في نهاية القرن الثاني للهجرة .